/2024
2025

محاضرات نظرية التأويل

السنة الثانية ماستر تخصص نقد حديث ومعاصر

الأستاذة منى صريفق

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2
قسم اللغة والأدب العربي

المحاضرة الثالثة: منعطفات النظرية الهيرمينوطيقية في فهم وتأويل النصوص

1- المرحلة الكلاسيكية:

أ. مارتن كلادينيوس**1710-1759**

غالبا ما نجد الكثير من الكتب تبدأ مباشرة بالمرحلة الحديثة أو ما يعرف بالمرحلة الرومانسية في التأريخ إلى أولى حقب ظهور مصطلح الهيرمينوطيقا أو نظرية التأويل إلا أنّ البحث أفضى بنا إلى وجود مرحلة كلاسيكية كان أول الباحثين فيها هو كلادينيوس بحيث " **يعدّ كلادينيوس (1710-1759) Cladenius نموذجا يمثل خير تمثيل فكر التنوير حين ينصب على قضية التأويل. وكان كلادينيوس ينادي بتأسيس مبحث منفصل للتأويل يتميز عن كل من فقه اللغة (الفيلولوجيا) ونقد النصوص. وكان السؤال الأساسي الذي يشغله هو: هل بالإمكان وضع قواعد أو أحكام لعملية التأويل؟**"[1] كانت هذه أولى الخطوات الجادة لتأسيس نظرية لفن التأويل، فقد سعى إلى فصلها عن مباحث أساسية آنذاك ألا وهي علمي الفيلولوجيا ونقد النصوص القديمة والمقدسة. وكان بهذا يرى التأويل وتحديدا الهيرمينوطيقا كـ" **فن تقني ضروري للدراسات التي تعتمد على تأويل النصوص: التاريخ، والشعر، واللاهوت، والقانون، والإنسانيات باستثناء الفلسفة باعتبارها شكلا من الجدال المحض أو من الاختبار النقدي للأفكار**"[2] هنا تحديدا انفتحت فكرة التأويل على جلِّ النصوص الإنسانية وأصبحت ذات بعد إنساني أكثر منها ذات طابع ديني فقط. وهذا ما جعل كلادينيوس يرى في التأويل مجموعة من الآليات التي تساعد الباحث على مقاربة النص بشكل أكثر قربا وسلاسة ما عدا الفلسفة فهو يراها عبارة عن مبحث يعتمد في الأساس على الأفكار النقدية وصيغ الجدل المختلفة. وفي رأي كلادينيوس فإنه لو اتبعنا مجموعة من القواعد السليمة فإن التفسير الصحيح والكامل قد يتحقق: فعلى المؤول أن يأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

---

[1] - عادل مصطفى: ***فهم الفهم" مدخل إلى الهرمينوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر***"، ص84.

[2] - عادل مصطفى: ***فهم الفهم" مدخل إلى الهرمينوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر***"، ص85.

- السياق العام أو الظروف الغالبة التي رافقت ظهور العمل
- الغرض/ النية/ القصدية التي يتبناها النص
- توفر الحس المشترك. وقد أكد على أهميته لما له من دور حيوي في عملية الفهم.[1] هذه النقاط الثلاثة أو لنقل الآليات هي التي تجعل النص في نظره يقترب شيئا فشيئا من فكرة الفهم.

2- المرحلة الحديثة (الرومانسية)

أ. فريديريك شلاير ماخر Friedrich Schleiermacher (1768-1834)

لقد قام فريديريك شلاير ماخر* ودلتاي بإعادة أحياء قواعد التأويل وتأجيج ثورة الهيرمينوطيقا بشكل غيّر طبيعة النظرة الكلاسيكية لها. فقد نقلاها من كونها قواعدا لتأويل وحفظ النصوص القانونية

---

[1] - المرجع نفسه، ص 88/87.

* فريدريك شلاير ماخر، المعروف باسم "أبو اللاهوت الحديث"، هو بلا شك أحد أهم علماء اللاهوت في تاريخ المسيحية. ليس فقط ذا صلة باللاهوت، فقد قدم أيضًا مساهمات مهمة في مجالات الفلسفة مثل التأويل والأخلاق وفلسفة الدين ودراسة أفلاطون، وكان سابقًا لعصره في تبني نوع من النسوية البدائي،"وُلد شلاير ماخر ابن قسيس في الجيش البروسي في بريسلاو في سيليزيا السفلى في عام 1768. وقد تم توفير تعليمه المبكر من قبل الأخوة المورافيين (هيرنوتر)، وهو مجتمع التقوى الصارم الذي سعى ليكون صادقًا مع الأهداف الإصلاحية لبي ج. 1675). في (1783) Niesky تعرض Schleiermacherلمنهج إنساني مستنير. تم التعرف على مواهبه، وتقدم إلى المدرسة في باربي (1785). هناك شكل ناديًا سريًا حيث قرأ هو وزملاؤه كانط وجوته وكتاب ألمان معاصرين آخرين. نتيجة لهذا التعرض، وكذلك التربية اللاهوتية الضيقة لتلك المدرسة، بدأ يشك في بعض العقائد المسيحية. في عام 1787 انتقل إلى جامعة "ييل" الأكثر ليبرالية، حيث استمر في علم اللاهوت، مع الفلسفة وعلم اللغة الكلاسيكي كمجالات ثانوية. ومع ذلك، لم يتخل شلاير ماخر أبدًا عن تدريبه الديني المبكر. في رسالة إلى جورج رايمر في عام 1802 كتب، "لقد أصبحت هيرنوتر مرة أخرى، فقط من رتبة أعلى، للتوسع ينظر:

- *Jacqueline Marina: the Cambridge companion to Friedrich Schleiermacher, Cambridge university press, New York 2005.pI/02.*

➞ *The original text: Schleiermacher was born the son of a Prussian army chaplain in Breslau in lower Silesia in 1768. His early education was provided by the Moravian Brethren (Herrnhuter), a strict pietist community that strove to be true to the reformist aims of P. J.*

والفلسفية والمقدسة إلى كونها قواعدا أكثر مرونة وأكثر شمولية لتصبح نظرية تهتم بفهم الإنسانية. وهذا صُنو ما ذهب إليه صاحبا الموسوعة النظرية الثقافية حين قالا:" **يعتقد عموما أن التأويل الحديث يدين ببداياته إلى أعمال فريديريك شلاير ماخر F. Schleiermacher(1768–1837) ومن الأمور التي أكدها شلاير ماخر أنّ:**

1– التأويل فن من فنون التفسير

2–**وأن معنى النص لا يهم إلا جمهور القراء الأصليين الذين يوجه لهم هذا النص**"[1] مما يعني أن الهيرمينوطيقا لم تعد تقتصر على النصوص المقدسة بل شملت كل النصوص، بالإضافة إلى ذلك نجدهما يكملان بهذا الصدد فيقولان:

3– " وأن التفسير عملية دورية، على اعتبار أن أجزاء النص تعتمد في معناها على مجمل النص، والعكس بالعكس.

4–**وأن سوء الفهم أو الخطأ في الفهم شرط سابق على فهم النصوص خلافا للرؤية المرتبطة في هذا الشأن بحركة التنوير، والتي تعلى من شأن العقل في مجال تفسير النصوص وتقدمه على كل اعتبار، ومن ثم فإنها تؤكد وضوح الفهم وليس سوء الفهم.**"[2]. لقد أصبح لسوء الفهم

Spener's Pia Desideria (1675). At Niesky (1783) Schleiermacher was exposed to an enlightened humanistic curriculum. His talents were recognized, and he was advanced to the seminary at Barby (1785). There he formed a secret club in which he and his classmates read Kant, Goethe, and other contemporary German writers. As a result of this exposure, as well as of the narrow theological pedagogy of that school, he began to have doubts about certain Christian doctrines. In 1787 he transferred to the more liberal University of Halle, where he continued in theology, with philosophy and classical philology as minor fields. Nevertheless, Schleiermacher never renounced his early religious training. In a letter to George Reimer in 1802 he wrote, ''I have become a Herrnhuter again, only of a higher order.

[1] - أندرو إدجار وبيتر سيدجويك: **موسوعة النظرية الثقافية "المفاهيم والمصطلحات الأساسية**، تر: هناء الجوهري، العدد 1357، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 2009، ص150/149.

[2] - أندرو إدجار وبيتر سيدجويك: **موسوعة النظرية الثقافية "المفاهيم والمصطلحات الأساسية**، ص150/149.

ضرورة قصوى في تأسيس فهم سليم للنصوص التي يحاول القارئ/ الناقد شرحها وتفسيرها ومن ثم تأويلها. هنا "**استطاعت الهيرمينوطيقا مع شلاير ماخر أن تتحرر من تبعيتها لفقه اللغة (الفيلولوجيا) الخاصة بالنصوص القديمة، ومن التفاسير الدينية القديمة، فمعه تم نقل مصطلح الهيرمينوطيقا من مجال التوظيف اللاهوتي، ليكون علما أو فنا لعملية الفهم ذاتها، أي أن الهيرمينوطيقا معه أصبحت علما يؤسس عمليات الفهم والتفسير. ويبدأ شلاير ماخر من ظاهرة سوء الفهم La mécompréhension، أي أننا عرضة لسوء الفهم أكثر كوننا نفهم بطريقة صحيحة، وسوء الفهم هذا يولد الحاجة إلى الفهم الصحيح، أي يولد الحاجة إلى ضرورة تأسيس "فن للتأويل" يعصمنا من الخطأ**"[1] إنّ الفهم حسب شلاير ماخر ليس شيئا نعثر عليه في فجوة من عدم وعينا بالأشياء، بل هو يستحق أن نبذل جهدا كبيرا للوصول إليه، وإن كنا –حسب نظرته– نفهم فإن هذا الفهم يعتوره نوع من اللبس أو سوء الفهم الذي يجب أن نحاول جاهدين التغلب عليه للوصول إلى أعلى درجات الفهم الصحيح.

ب.ويلهالم دلتاي Wilhelm Dilthey (1833-1911)

لقد كان ويلهالم دلتاي من بين أهم الفلاسفة المفكرين في أواخر القرن التاسع عشر. فقد كان يرى في الهيرمينوطيقا فن فهم كل ما تعلق بالإنسان وأعماله من (فن وأفعال وكتابات)، وهذا ما يشرحه لنا محمد كيحل في قوله عنه في أنه: "**عمل [...] على منح الهرمينوطيقا دور الابستيمولوجيا العامة في علوم الفكر، فأصبحت معه بمثابة المنطق الجديد لعلوم الفكر مقابل علوم الطبيعة، فمنهج العلوم الطبيعية هو التفسير أما منهج علوم الفكر (أو العلوم الإنسانية) فهو الفهم أو التأويل، وذلك عكس النزعة الوضعية التي جمعت العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية على منهج واحد، هو المنهج الاستقرائي التفسيري**"[2] هنا تحديدا أصبح لفعل التأويل أهمية بالغة في نظره، فقد أصبح فعلا يشرح ويُقَّعل قيمة الفهم و التأويل لكل ما يصدر عن الإنسان سواء أكان ذلك قانونا، أو عملا أدبيا،

1- كيحل مصطفى : ***الألسنة والتأويل في فكر محمد أركون***، ص89.

2 - كيحل مصطفى: ***الألسنة والتأويل في فكر محمد أركون***،، ص90.

أو نصا مقدسا. "**لقد كان مشروع دلتاي هو صياغة منهج ملائم للعلوم المختصة بفهم التعبير الإنساني والاجتماعي والفني. وكان على وعي واضح بعجز المنظور الردي والآلي للعلوم الطبيعية عن الإيفاء بهذه المهمة والإمساك بجمع الظاهرة الإنسانية. ومن هنا فقد نظر إلى هذه المهمة على أنها مشكلة ابستمولوجية من جهة، وأنها تتطلب تعميق تصورنا للوعي التاريخي من جهة ثانية**"[1] وقد كانت نظرة دلتاي تميل نوعا ما نحو نقد الأطر الكانطية فقد كان يرى أنّ التاريخ هو سيد الفهم. ومن دونه لا يمكننا بتاتا أن نفقه أنفسنا ونعلل ظواهرها.

[1] – عادل مصطفى: فهم الفهم " مدخل إلى الهرمينوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر"، ص118.